موقع الرّوح الشاعرة من الرّوح العلميّة عند غاستون باشلار

A spot of spirit of poet from the scientific spirit by Gaston bachelard

La Place de l'éprit poétique vis-à-vis de l'esprit scientifique chez Gaston Bachelard

عبد الحق بوخراص[1]*، عبد العزيز بوالشعير[2]

تاريخ الإرسال: 2019 /09/23 **تاريخ القبول:** 2021/02/16 **تاريخ النشر:** 2021/06/20

ملخص: نتناول في هذا المقال فيلسوفا فرنسيّا وموسّوعيّا متفتّحا وفينومينولوجيّا شاعريّا وهو غاستون باشلار ، الّذي استطاع أن يربط بين منطق العقل ومنطق العاطفة ربطا فلسفيّا واسعا ، مبيّنا موقع الرّوح الشّاعرة من الرّوح العلميّة ، ومدى التّأثير الفعّال لمنطق الفنّ في تحريك منطق العلم نحو التّطور العلميّ الحضاريّ أكثر فأكثر ، وحتّى وإن كانت الرّوح الشّاعرة عائقا إبستميّا في تطور العلم ، إلّا أنّ هذا لم يمنع أن تكون دافعا قويّا للتّطور الحضاري ،فمنطق التّطور وإن كان يقوم على العلم فإنّه لا يلغي دور الفنّ في ذلك ، وهنا تظهر قيمة العقلانيّة التّركيبيّة المتفتّحة في فلسفة غاستون باشلار .

الكلمات المفتاحية: الإبستيمولوجية، الفينومينولوجية، العلمية، الشعرية، الجمالية.

Abstract : We deal in report French philosopher ,an openness encyclopedian and poetic phynomonologian whose name is Gaston Bachelard who succeeded to link between logical mind and logical emotions and feelings , this latter is widely linked philosophically , in other words how matter is proved the poetic spirit from scientific spirit ,that is to say about how logical art influence the movement of logical science towards the development of civilized science more and more , even though the poetic spirit is an obstacle of progress of science , and this concept doesn't hinder science , but it quashes it to better development of the civilization , in other words the civilization isn't the result of science only but the art participated to the civilization development. Finally the appearance of the composer of mindness is opened according to Gaston Bachelard

Keywords: Epestemology, phenomonology, scientifice, poetics, Estitices

Résumé : On prend dans cet article un philosophe encyclopédiste d'esprit ouvert et phénoménologue poétiquement, Gaston Bachelard qui a pu faire la liaison entre la logique de la raison et la logique des sentiments raisonnement logique sentimentale ; avec une liaison vaste philosophiquement, c'est adire, place de l'esprit poétique et l'esprit scientifique. Autrement dit ,une influence efficace de la logique artistique dans les citation de la logique scientifique vers le développement scientifique civilisé, même si l'esprit poétique soit un obstacle épistémologique pour le progrès scientifique , il empêche pas l'esprit poétique pour devenir un mobile fort vers un développement civilisé avec la raison ou l'appréciation dont le développement civilisé, ne peut être monopolisé uniquement par la science , mais il été surpassé par l'art ,donc ,ici apparait le raisonnement assemblage ou le montage ouvert dans la philosophie de Gaston Bachelard .

Mots clés : Epéstomologie, phemonologie, scientifique, poétique, Estitique

*المؤلف المراسل

[1] Abdelhak Boulakhras, Abdelhamid MEHRI - Constantine 2 university
[2] Abdelazziz Bouchair, Abdelhamid MEHRI - Constantine 2 university

مقدمة

يعتبر غاستون باشلار فيلسوفا متفتحا بامتياز، و مازاده انفتاحا في فكره الفلسفي و العلمي بصفة لانهائية من البحث عن الحقيقة الكونية هو تزاوج فكره المعرفي بين التكوين القاعدي الابستمي الموضوعي العلمي و الوصول إلى قمة الفينومنولوجيا الشاعرية و الفنية و الجمالية، هذا التحول الطبيعي الذي يحدث لأي فيلسوف او مفكر في حياته الفكرية، هذا لأن فكر الإنسان يتطور من مرحلة زمنية إلى أخرى، ومادام الأمر كذلك فقد انقسمت حياته معرفيا إلى قسمين متكاملين ؛مرحلة الإبستيمولوجيا العلمية و مرحلة الفينومنولوجية النفسية الفنية، و هذا من خلال ما أنتجه من المؤلفات الفلسفية و العلمية التي توحي بهذا التزاوج المعرفي في فكره الموسوعي المفتوح: و هنا نطرح تساؤلات عدة:

كيف بدأ باشلار مشروعه الفلسفي و العلمي؟

كيف تحول من رجل العلم إلى رجل الأدب و الشعر و الفن؟

لماذا زاوج بين منطق القاعدة الابستمية العلمية و القمة النفسية الشاعرية الفنية؟ وما مدى تأثير الروح الشاعرة في تطور الروح العلمية حسب باشلار ؟

1– باشلار .... الرجل الإبستمي العلمي الموضوعي:

لم يكن باشلار فيلسوف علم فقط، بل كان فيزيائيا بالدرجة الأولى، إذ نجد تكوينه القاعدي علميا فيزيائيا، حيث أصبح مدرسا للرياضيات والفيزياء، حيث توّج تدرجه العلمي سنة **1927** بتقديم رسالة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان: " محاولة في المعرفة التقريبية" Essai sur la connaissance de approchée (**محمد وقيدي: فلسفة المعرفة غاستون باشلار، 1984، ص.ص 15–16**)

فابستيمولوجيته تظهر أساسا في فلسفة العوائق الابتسميولوحية و القطيعة الإبستيمولوجية، و السؤال الذي يطرح نفسه هو:من أية زاوية كان باشلار ابتسميا علميا موضوعيا ؟

حينما تأملنا كتبه و خاصة كتابه بعنوان: " تكوين العقل العلمي" في ظل فلسفة العائق الإبستيمولوجي بدأ باشلار يوظف طريقة التحليل النفسي في فهم حقيقة المعرفة العلمية، حيث تبين أن المعرفة العلمية في عوائقها لا ترجع إلى عوائق خارجية كمنطق الظواهر، و لاتتعلق بضعف في الحواس و الفكر، بل تنبع من المعرفة العلمية في حد ذاتها فكيف بيّن ذلك باشلار ياترى؟(**غاستون باشلار ، حدس اللحظة، 1986، ص98**)

و يجيب باشلار عن لغز إدراك هذه العوائق الإبستيمولوجية في قوله: " عندما نبحث عن الشروط النفسية لتقدم العلم، سرعان ما نتوصل إلى هذا الاقتناع بأنه ينبغي طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارات العقبات" (**محمد وقيدي، 1984، ص110**)

وهنا استطاع أن يحلل العقبات أو العوائق تحليلا نفسيّا بهدف الوصول إلى موضوعية المعرفة العلمية ، وهكذا اعتبر العوائق الإبستيمولوجية جانبا ايجابيا وليس جانبا سلبيا .

1.1 عائق التجربة الأولى : ففي العائق الإبستمي الأول الذي تحدث باشلار عن الاختبار الأول، أو مايسمى التجربة الحسية، حيث إنّ هذه المعرفة المباشرة بعيدة عن النقد و بالتالي بعيدة عن الموضوعية، وحسب باشلار حتى نصل إلى المبتغى الموضوعي وجب تجاوز هذه المعرفة السطحية و هنا يقول: " تكون العقبة الأولى أمام تكوين العقل العلمي هي عقبة الاختبار الأول، الاختبار الموضوعي قبل النقد و فوق النقد الذي يعتبر بالضرورة عنصرا من عناصر القول العلمي، و بما أن النقد لم بفعل فعله صراحة، فلا يمكن للاختبار الأول–في أي حال من الأحوال – أن يكون سندا موثوقا" (**محمد وقيدي: العلوم الإنسانية الإيديولوجيا، 1983، ص21**).

2.1. عائق المعرفة العامية : فالمعرفة العامية بوصفها عقبة أمام المعرفة العلمية، وبالضبط نتحدث عن عائق التعميم، لأن التعميم المتسرع يوقعنا في أخطاء ما بعدها أخطا، حسب باشلار، لذلك نجده يلحّ على ضرورة الإقلاع عن مثل هذه السلوكات العلمية التي تبعدنا عن الحقيقة العلمية، و هنا يقول: "كلما كانت طريقة التماهي قصيرة ، كان الفكر الاختباري أفقر "(**غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي، 1981، ص84**).

فحسب ما فهمناه وجب بل ضرورة استبعاد التعميم السهل الذي ينطلق من التجارب الأولى، وهنا باشلار أكد على ضرورة تجاوز التعميم الأعمى، لأن هذا التعميم الذاتي يبعدنا عن الحقيقة العلمية.

3.1. العائق الجوهراني : هذا لأن الباحث عند وقوعه تحت تأثير هذا العائق، لا يبحث عن الميزات الحقيقية التي تميز الظاهرة، بل يبحث في تلك الخصائص التي تكون جوهرا لهذه الظاهرة، بالتجوهر هو صفة مدركة من زاوية الحدس المباشر، وهذا يعوق التقدم اللاحق للفكر العلمي. **(G.Bachelard, la formation de l'esprit scientifique, 1975, p102)**

4.1. العائق اللفظي : المقصود بالعائق اللفظي، أي أن لفظ واحد يفسر كل شيء فمثلا كلمة "الإسفنجة"، التي فسرت كل الظواهر الطبيعية العلمية في تفسير الظواهر. (غ. **باشلار، تكوين العقل العلمي، 1981، ص61**).

وهنا نجده يؤكد على ضرورة تغيير الألفاظ المتداولة، وهذا بهدف الوصول إلى إعطاء الجديد في تطوير الفكر العلمي.

ففي ظل العوائق الابستيمولوجية ولد ما يسمى بالقطيعة الإبستيمولوجية، و لكن لا ننسى أن لهذا المفهوم الخاص بالقطيعة الإبستيمولوجية، مستويات لابد أن نقف عندها حتى نرفع ذلك اللبس الشائع، لدى الكثير من الدارسين أن القطيعة التي تحدث عنها قطيعة نهائية و مطلقة، ففي ظل تطور العلم، يظهر أنّ القطيعة عنده مستويات، أو إن صح التعبير على مستويين، فالمستوى الأول يتجلى في القطيعة الشاملة أو المطلقة بين المعرفة العامية و المعرفة العلمية، و هذا في قوله " التطور العلمي يظهر دوما قطيعة أو قطائع متواصلة بين معرفة عامة و معرفة علمية" (**G.Bachelard, le matérialisme rationnel, 1990, p207**)

وهذا ما يجعلنا ندرك تمام الإدراك أنّه بيّن أن العلم حتى يتطور و لا يتغير في تفسيرات ذاتية وجب أن يعلن قطيعة تامة بين ما هو عامي شاسع مشترك بين الناس، و ما هو علمي موضوعي.

أما المستوى الثاني فإنّه يتجلى على مستوى الحقل العلمي داخل النظريات العلمية بعيدا عن المعرفة العامية، حيث بيّن أن القطيعة احتوائية تكاملية تركيبية بين ما هو جديد وما هو قديم في كل العلوم دون استثناء، فمثلا الهندسات المعاصرة

اللااقليدية لم تبرز في حقل الرياضيات إلغاء للنسق الإقليدي القديم، وإنما توسيعا واحتواء فقط لما هو قديم، وقس على ذلك الفيزياء المعاصرة التي جاءت موسعة فقط لما هو فيزياء قديمة، وهنا ندرك أن باشلار امتاز بالشخصية العقلانية المتفتحة دون انغلاق.

2 – باشلار ..... الرجل المسافر والمغامر من منطق العلم الصارم إلى منطق الأدب الناعم:

الكثير من يعتقد أن باشلار رجل إبستيمي موضوعي ولا يزال بهذا الفهم إلى يومنا هذا، مع أنه تحول من منطق الإبستومولوجيا الموضوعية العلمية إلى منطق الفينومنولوجيا النفسية الفنية الشاعرية الجمالية، ونحن بالضبط سنركز على لغز هذا التّرحال الباشلاري ، فكيف حدّث هذه التحول الفلسفي الذي ربط بين العلم والفن ؟

فمن خلال كرونولوجيا شخصيته ، وجدنا أنّه مزج بين ما هو إبستيمي موضوعي علمي وما هو فنومنولوجي فني شاعري، فمنذ سنة 1938 من خلال كتابة المسمى << تكوين الفكر العلمي : مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية " ، وكتابه : << التحليل النفسي للنار >> سنة 1938،وكتابه الماء والأحلام سنة 1942 ، وكتابه << الهواء والرؤى >> سنة 1943، وكتابه المسمى، << الأرض و (أحلام الإرادة) 1948، وكتابه << الأرض وأحلام الراحة >> سنة 1948 ، وكتابه << شاعرية المكان >> و << شعلة قنديل >> سنة 1960 و << شاعرية أحلام اليقظة >> **(Jean - Claude margolin : Bachelard / 1974. p p 173/ 174)**

فمن خلال هذه الكتب الإبستيمية العلمية والفينومنولوجية الفنية النفسية الشاعرية الجمالية ندرك أنّه استطاع أن ينتقل من منطق الصرامة الإيستيمية إلى الليونة الفنية نسبيا، ففي أي زاوية بدأت نقطة التحول الفلسفي في فكره يا ترى ؟

بدايتنا ستكون من خلال كتابه المسمى << تكوين الفكر العلمي ، مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية >> سنة (1938 م) ، ولقد أراد باشلار أن يكون محللا نفسانيا للمعرفة العلمية حتى يكتشف الأخطاء العالقة بالفكر العلمي البشري، وهنا يقر أنه ما دامت الحقيقة هي خطأ مصحح يقول:" ..... وعليه إذا مارسنا علم النفس، وليس الفلسفة، سيلزم الرجوع دائماـ كما نعتقد ـ إلى الوجهة التي استند إليها في هذا الكتاب: نفسانيا، لا توجد حقيقة بدون خطأ مصحح، إن بسيكولوجية الموقف الموضوعي هي تاريخ أخطائنا الشخصية " **(Michel Mansuy: Gaston Bachelard et les éléments. 1967 p. 33)**

وهكذا نجده أسس لعلم نفس الخطأ في بناء العلم بطريقته الخاصة، وهكذا نجده مارس تجربته في علم نفس المعرفة في توليد الحقيقة العلمية.

ومن خلال هذا الكتاب الذي تحقق لباشلار نسبيا درجة العالم النفساني في إدراك حقيقة العلم بطريقة موضوعية صارمة من جهة ، بنفس نفسي ذاتي من جهة أخرى ، ولكن بقراءة ايجابية لا سلبية في فهم المعرفة الحقة ، وبعد عشرة أشهر تقريبا ألّف باشلار كتابا عنوانه: << التحليل النفسي للنار >> وفيه تناول علاقة النفس بالنار بطريقة زاوج فيها بين

علمية الموضوع (تحليل النفس البشرية) وشاعرية الأسلوب والنظم (الشكل) ، وفي ظل هذا الانتقال الانفتاحي من كتاب إلى كتاب آخر نجد ميشال مانسي في كتابه المسمى << غاستون باشلار والمعطيات يقول:

" كاد يخرج كتاب تشكل الفكر العلمي من المطابع في يناير سنة 1938 حتى ظهرت " النار " عشرة أشهر فيما بعد حينما استجوبه " جيل غاستون كرانجر " عن صلات الكتابين ، أجابه باشلار بأن عمله حول الفكر العلمي قاده إلى القيام ببعض القراءات الأدبية التي لم تجد دائما استعمالها، لهذا كتب " التحليل النفسي للنار"، حتى يعرض للإشارات غير المستعملة " **(Michel Mansuy. 1967. p 33)**

فمن خلال هذا الكتاب الذي فتح مجال علم النفس أمام باشلار سواء في النّار أو الماء أو الهواء أو التراب، أي أنه حلّل العناصر الطبيعية الأربعة تحليلا نفسانيا، والسؤال الذي يطرح نفسه : كيف حلّل باشلار هذه العناصر الأربعة نفسيا ؟ ما السّرفي ذلك ؟

في تحليله النفسي للنّار بدأ ينتقل من المرحلة الإبستمية الموضوعية الصارمة إلى المرحلة النفسانية الشاعرية الأدبية الفنية الجمالية ،وذلك حينما نظر للنّار نظرة أخلاقية واجتماعية لا نظرة فيزيائية صرفة، حيث تحدث في كتابه المسمى: << التحليل النفسي للنّار >> عن أسطورة بروميثوس أو ما تسمى بعقدة بروميتوس **Complexe de Prométhée** التي تفسر تلك الرغبة النفسية في معرفة النار والحصول عليها ضد رغبة الأب، هذا لأن النّار ذات أصل إلهي << زيوس >> ، حيث بروميثوس يعتبر بطلا يونانيا سرق النّار من إله<< زيوس >> و أصبحت النار منذ ذلك النار أسلوب تمدن وتحضر وتطوير مختلف الفنون والعلوم بأسرها. (غ . باشلار . **التحليل النفسي للنار** . **1938** . **ص 13–14**)

وفي ظل التحليل النفسي للنار أراد قراءة الماء قراءة نفسانية وذلك من خلال كتابه المسمى ((الماء والأحلام)) ، حيث وجد أن للماء قيمتين: قيمة أخلاقية إيجابية وأخرى سلبية، ولكن الجانب الإيجابي الخير أكثر من الشر وهنا يستدل باشلار بقول سيبلو في قوله :" يلزم ، من جهة أخرى أن تكون ثنائية الماء النقي والماء غير النقي ثنائية متوازنة، فالميزان الأخلاقي يربح بلا منازع، إلى جانب النقاوة ، إلى جانب الخير موصول بالخير "(غ . **باشلار** . **الماء والأحلام** . **2007** . **ص ص 206–207**).

وكما حلّل النار تحليلا نفسيا، فإنه قد حلّل الهواء نفسيا وربطه بأحلام اليقظة ولكن كيف ذلك ؟ فمن خلال كتابه المسمى : << الهواء والمنامات >> << **L'air et les Songes** >> سنة 1943 ، أجاب عن هذا السؤال المطروح من خلال نصوصه المتعددة ، إذ جعل الهواء علاجا نفسيا للإنسان، حيث وضّح جيدا وبعمق عن دور الهواء من خلال التنفس، حيث الإنسان كل تنفس أكثر من التنفس شعر بالخفة والرشاقة والطلاقة وهنا يقول: << ..... في ما يعبر ميكيفيتش **Mickiewicz** عن الحياة المليئة التي يعيشها الصدر المنتفخ: << أوه كم هو عذب أن يتنفس الإنسان من كل صدره ! أتنفس بحرية، كليا، بكثرة، كل هواء العربستان يكفي بالكاد لرئتي >> (غ. باشلار: شاعرية أحلام اليقظة، 1991،ص154)

وحتى ندرك حقيقة انتقاله من الصرامة الإبستمية العلمية إلى ما هو نفسي عاطفي شاعري جمالي نجده حلّل التراب أو الأرض) تحليلا نفسيا فكيف بين ذلك ؟

من خلال كتابة المسمى: <<الأرض وأحلام اليقظة الإرادة >>سنة 1948: نجده قرأ التراب وفق قراءتين: قراءة عدوانية ومواجهة وتحد وقراءة حماية وأمان وألفة وراحة.

فمن ناحية العداء والمقاومة والصلابة بين الأرض والإنسان نجده يقول: << الإنسان يحفر الأرض ويخرق الحجر ويقطع الخشب، يريد تشغيل المادة وتحويلها، فالإنسان مجرد فيلسوف بسيط أمام العالم، بل قوة لا تكل ضد هذا العالم وكذا ماهية الأشياء >> **(G.Bachelard : La Terre et les rêveries de la volonté. 1947. p. 34)**

ومن جهة أخرى يرى التراب أنّه يوحي إلى الأمومة والأنوثة والراحة والأمان والحماية والاطمئنان والثقة وكل معاني الحب والبراءة الإنسانية وفي هذا الصدد يقول: << سندرك بأن هذه الصور، وإن لم تتماثل شكلا فهي على الأقل متوحدة الخواص، ترشدنا بالحركة دائما نحو منابع الاستدامة، مثلا يشير المنزل،البطن، والمغارة وإلى النفس التي تتضمنها العودة إلى الأم >> **(G.Bachelard : La Terre et les rêveries du repos, 1948, p 12)**

فباشلار يمتاز بالشخصية المتفتحة والمنفتحة على كل شيء دون انغلاق : كيف ولا فلسفته تسمى بفلسفة اللا ، فلسفة الاحتواء والتضمن والتركيب والشمول والتوسع في ظل تكامل العلوم والفنون بعضها بعضا دون انفصال يذكر، فالانتقال من مرحلة الصرامة الإبستمية العلمية إلى الليونة الفينومنولوجية الفنية الجمالية الأدبية الشاعرية انتقال احتواء وتوسع وليس انتقال انفصال وتطليق ما هو علمي ابستمي، ولقد تلمسنا هذا ككل في قول لويس غيوم " **Louis Guillaume** " في شأن موسوعية شخصية باشلار في قوله: << غاستون باشلار أكثر الشعراء فلسفة ، والفيلسوف الأكثر شاعرية (**سعيد بوخليط : غاستون باشلار نحو نظريته في الأدب 2011، ص 31**) ، فمن خلال هذا القول لغيوم ندرك تمام الإدراك أنّه يعتبر شاعرا وذّواقا للشعر والأدب والفن ، بعد أن كان إبستيمولوجيا موضوعيا صارما ، وهذا يعكس مدى انفتاح عقلانية باشلار على كل المعارف الإنسانية دون استثناء .

ففي ظل احتواء الفن في العلم حسب باشلار يقدم لنا هذا الأخير مدى التركيب الفينومنولوجي بين النار والشعر والأدب، وهنا نتلمس كيف انتقل من صرامته الإبستمية إلى ليونته الفينومنولوجية حيث يقول: "فالشعلة من بين أغراض العالم التي تستدعي الحالومية وتستدعيها، وهي واحدة من أكبر صانعات الخيلات، وهي تجبرنا على التخيل " (غ باشلار: **شعلة قنديل ، 1995، ص 05**)

وهنا بيّن باشلار أن صورة الشعلة النارية لها دور في خلق الإبداع الفني والعلمي والحضاري بصفة عامة. وحتى أنّه في ظلّ انتقاله من الصرامة الإبستمية إلى الليونة الفينومنولوجية الشاعرية يظهر أنّه معجبا بالشّعراء الذين شعروا في أشعارهم بالماء. فهذا الأخير ظاهرة فيزيائية / بيولوجية، إلا أن الشعراء والأدباء لهم ذوق خاص في تناولها، فمثلا الشاعر " إدغار ألان بو «الذي تحدث عن المياه الراكدة أو المياه الميتة، وهنا استدل باشلار بما شعر به " إدغار آلا ن بو " في قصائده الشعرية المعنونة بـ << إيرن >> حيث يقول: << ..... ينام الموتى جميعا..

على الأقل طيلة المدة التي ينتحب فيها الحب.

.....

وبقدر ما تبقى الدموع في عيني الذكرى >> (غ باشلار . الماء والأحلام . **2007**، ص **102**)

فالحقيقة الكونية حسبه في فهم الماء ليس فهما فيزيائيا ماديا فقط ، بل هناك فهما آخر شاعريا عاطفيا ذاتيا حسب ما عبر عنه الأدباء والشعراء .

ولقد تحدّث أيضا عن شعراء الأرض أو التراب الذين استنطقوا الأرض استنطاقا أدبيا مشاعريا مع أن الأرض مادة فيزيائية لكن لم يمنعهم أن يتذوقوا التراب تذوقا فنيا وجماليا، ومن هؤلاء الذين استدل بهم باشلار نجد الشاعر " جان كايرول " " Jean Cayrol " الذي يقول:

العُشب.....

يحمل المطر على ملايين سيساءاته .....

يمسك الأرض بملايين إبهاماته .....

.....

يجيب بنموه على كل شهيد

العشب يحب العالم كما يحب ذاته

العشب سعيد، في أيام الشدة وغيرها

العشب يمضي مجذرا ، العشب يسير واقفا . (غ. باشلار. شاعرية أحلام اليقظة، **1991**، ص**64**)

3–منطق التزاوج المعرفي بين لغة الأنيموس ولغة الأنيما بالمفهوم الباشلاري:

ما دامت عقلانية باشلار مفتوحة على كل الفلسفات والمذاهب والنظريات العلمية، وكل المعارف الإنسانية، فإن فكرة التزاوج المعرفي بين لغة الأنيموس (العقل) ولغة الأنيما (العاطفة) في ترابط وتركيب معرفي ابستمي / فينومنولوجي / فني لا انفصام بينهما مهما كانت طبيعة المعرفة الإنسانية ، فمن خلال كتابه المسمى : " التحليل النفسي للنار " يقول : "إن محوري الشعر والعلم معكوسان، وكل ما تأمله الفلسفة هو جعل الشعر والعلم متكاملين، والجمع بينهما من حيث هما متضادان حسنا الصنع، يجب إذن مقابلة أو التقاء الرّوح الشعرية الفياضة " **L'esprit poétique expansif** " بالرّوح العلمية الكتومة " **scientifique taciturne l'esprit**" التي تعتبر النفور المبدئي احتياطا سليما " (غ. **باشلار :التحليل النفسي للنار ، 1983، ص 12**) .

إذن همزة وصل بين لغة العلم ولغة الشعر هي الفلسفة، لأن الأخيرة حاضنة لكل العلوم والفنون دون استثناء، فهذا التكامل المعرفي بين الروح الشاعرية والروح العلمية يجعلنا ندرك حقيقة العلاقة الخدماتية، حيث الروح الشاعرة تحرك الروح العلمية ، حتى وإن كان في غالب الأحيان الروح العلمية هي تفكير ضد الأفكار المتخيلة والحالمة . كما يضيف " بول غيوم " في مقاله المعنون : << غاستون باشلار والشعراء >> مترجم من طرف الدكتور سعيد بوخليط في كتابه المسمى << غاستون باشلار – نحو نظرية في الأدب – قائلا : << ..... يقول وهو يبتسم مثل خفاش الأسطورة:

<<أنظروا إلى أرجلي، أنا فيلسوف للعلوم، أنظروا إلى أجنحتي، فأنا شاعر >>

(سعيد بوخليط : غاستون باشلار : نحو نظرية في الأدب، 2011، ص 33) .

من خلال هذا الخطاب الباشلاري الصريح كل الصراحة بأنه مزدوج التركيبة المعرفية بين منطق العلماء ومنطق الشعراء برابط الفلاسفة، هذا لأنه ربط الأرجل بالعلوم والأجنحة (الأيدي) بالشعر، وهذا دليل قاطع على مدى موسوعية وانفتاحية العبقرية الباشلارية أساسا . وهناك إقرار آخر بمدى وحدة شخصيته رغم أبعادها المتعددة.

وهذا مايؤكده الدكتور سعيد بوخليط في كتابه : (المتخيل والعقلانية) عندما بيّن من خلال أعمال مجلة الجمعية الشامبانية التاريخية أن الروح العلمية ارتبطت بالروح الشاعرية في شخصية باشلار، وهذا ما أعطى وحدة الفكر عند باشلار، فليس هناك اثنان داخل باشلار، بل واحد فقط، إنّه فيلسوف المتخيل الذائع الصيت سواء في الاكتشاف العلمي، وكذا الإبداع الفني والشعري (**سعيد بوخليط : المتخيل والعقلانية**)/ **2013** . **ص 54**)

والأمر الذي حقّق قوة الترابط والتركيب بين العلم والشعر هو ذلك المنهج الفينومنولوجي الذي اتخذه سمّادا لخلق العلاقة أكثر فأكثر بين لغة الأنيموس ولغة الأنيما في كتابه المعنون : <<حدس اللحظة >> يقول: << ففي أي ماء مقدس نعثر لا فقط على نسيم العقل المتجدد، إنّما أيضا على الحق في العودة الأبدية إلى أفعال العقل ؟ >> (**غ باشلار : حدس اللحظة، ص 13**).

وهكذا ندرك أن عقلانيته متفتّحة متجدّدة متجاوزة نقسمها في كل لحظة ولحظة أخرى، حيث انتقل من عقلانية صارمة موضوعية إلى شاعرية مرّنة ذاتية فينومنولوجية ، حيث إنّ العقل وحده غير كاف لفهم حقيقة الكون، بل لابّد من أفعال العقل ،ومعنى ذلك أنّ العقل بحاجة إلى مكملاته من الجانب العاطفي الشاعري الفني في فهم ما كان ناقصا في هذا الكون، ففي قوله هذا نوع من الشخصية التركيبية بين لغة فلسفة العلم ولغة فلسفة الفن شعرا و نثرا وأدبا و رواية وقصصا وحكاية و أسطورة، وكل أساليب التعبير الشاعري لهذا الوجود .

ففي فينومنولوجيته استطاع أن يربط بين الطبيعة وقوة الخيال الشاعري في فهم حقيقة الكون، حيث أعطى الأهمية للصورة الشعرية الآنية التي تستحضر نفسها بنفسها، فالخيال هو النقطة الفاصلة بين الروحي والطبيعي، حيث تكون الصورة المتخيلة نتاجا مباشرا للروح، وفي نفس الوقت تغوص بجذورها في العالم الطبيعي (**غادة الإمام، غاستون باشلار، جماليات الصورة، 2010، ص 242**) .

وعليه أصبحت القصيدة معه بوابة الحلم والخيال، فهو يؤمن بالدور الأساسي للشاعر في العالم المعاصر، ولم يكن باشلار مجرد قارئ للشعر، بل كان صديقا حميما للشعراء، وهو نفسه شاعر كبير (**سعيد بوخليط : نحو نظرية في الأدب، 2011 ، ص 52**) .

الخاتمة

ما يمكن قوله في الختّام حول فلسفة باشلار المتفتّحة أنّه استطاع أن يكون موسّوعيّا في ربطه بين منطق الفنّ ومنطق العلم ، والرابط الأساسيّ هو الفلسفة بالمرصاد ، حيث بدأ مسّاره الفكريّ رجلا ابستيميّا موضوعيّا صارما خاصة في كتبه

الأولى ، ولكنّه ما لبثّ أن راح يؤلّف كتبا أدبيّة شعريّة فنيّة ، وبذلك أصبح رجلا فينومنولوجيّا وشاعرا مع الشّعراء ، فبهذه الازدواجية المعرفيّة أو ما تسمى بالشّخصيّة التركيبيّة المتفتّحة استطاع أن يؤسس تلك العلاقة الجدليّة التّكامليّة بين الرّوح الشّاعريّة والرّوح العلميّة ،ويبرز التّأثير الايجابي للرّوح الشّاعريّة في تطوير الرّوح العلميّة وإثرائها ، ورغم أنّ هذه الأخيرة في غالب الأحيان ضد الأفكار التخيليّة والحالمة ، إلاّ أنّ هذا لم يمنع أن يكون الخيّال الشّاعريّ أو الفنيّ فاعلا ودافعا نحو التّقدم العلميّ وفهم حقيقة الكون أكثر فأكثر بحثا عن مخارج وآفاق مستقبليّة جديدة ، فباشلار بهذا المعنى الكلي يعتبر رجلا متكاملا يجمع بين الرّوح الشّاعريّة والرّوح العلميّة معا دون فصل معرفي بينهما.

المراجع بالعربية:

1– محمد وقيدي (1984) فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، ط 1، دار الطليعة، بيروت.

2– غاستون باشلار (ب. ت) حدس اللحظة، ترجمة: رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، دار الشؤون الثقافية العامة.

3– محمد وقيدي (1983) العلوم الإنسانية والإيديولوجيا، ط 1، دار الطليعة، بيروت.

4– غاستون باشلار (1981) تكوين العقل العلمي، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

5– غاستون باشلار (1984): التحليل النفسي للنار، ترجمة: نهاد خياطة، ط 1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

6– غاستون باشلار (2007): الماء والأحلام، ترجمة، علي نجيب إبراهيم، ط 1، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، لبنان.

7– غاستون باشلار (1991): شاعرية أحلام اليقظة، ترجمة: جورج سعد، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

8– سعيد بوخليط (2011): غاستون باشلار: نحو نظرية في الأدب منشورات الاختلاف، الجزائر.

9– غاستون باشلار (1995): شعلة قنديل، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

10– سعيد بوخليط (2015): المتخيل والعقلانية – دراسات في فلسفة غاستون باشلار،

ط 1، دار الأمان، الرباط.

11- غادة الإمام (2010): غاستون باشلار: جماليات الصورة، ط 1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

المراجع بالفرنسية:

12- Gaston Bachelard (1999): La formation de l'esprit scientifique librairie philosophique, vérin. Paris, 6 éme édition.

13- Gaston Bachelard (1990) : Le matérialisme rationnel. P. U. F paris, 8 éme édition.
14- Jean – Claude – margolin (1974) : Bachelard, écrivain de toujours, L'imprimerie tardy Quercy Auvergne a Borges D. L. 1 er TRIM.
15- Michel Mansuy (1967) : Gaston Bachelard et les éléments, José corti.
16- Gaston Bachelard (1947) : La terre et les rêveries de la volonté, Edition corti.
17- Gaston Bachelard (1948) : La terre et les rêveries du repos, librairie José corti.